مجلة الحكمة للدراسات الاعلامية و الاتصالية
Eissn :2600-6863 Issn : 2353-050
المجلد 1 / العدد 04 (2013)، ص 183 –203

"إعادة النظر في مفاهيم الإعلام والاتصال في ظل القرية المعلوماتية"

الأستاذ :محمد الفاتح حمدي .
جامعة باتنة –الجزائر

شهدت المجتمعات الإنسانية عبر مراحل تطورها العديد من المحطات التي ميزت كل عصر عن غيره من العصور التي سبقته، فإذا كان عصر البرونز وعصر البخار وعصر الثورة الصناعية من أبرز الإكتشافات في تلك العصور، والأكثر تأثيرا في حياة البشر، فإن العصر الذي نعيش فيه يستحق بإمتياز تسميته عصر المعلومات والثورة التكنولوجية في مجال الاتصال والإعلام، فلقد حولت الوسائط والتقنيات الحديثة المجتمعات الإنسانية إلي قرية كونية محدودة الأزمنة والأمكنة على حد مقولة ***مكلوهان***، فلم نعد بحاجة إلى وقت كبير وقطع مسافات طويلة من أجل إيصال رسائلنا الإعلامية إلى مختلف فئات الجماهير، فقد وفرت علينا تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة عبء التنقل واستغراق وقت طويل في أداء ما تريده من الأخرين، فالملاحظ في تطور هذه الوسائط الاتصالية يري أنها أحدثت تغييرات في العديد من الأنماط والعادات والسلوكات والعناصر ضمن القرية الكونية العالمية، فإذا كانت أنماط وعادات الفرد وسلوكاته تأثرت بما جاءت به هذه الوسائط من رسائل جديدة، فإن العلوم على إختلاف مجالاتها أيضا تفاعلت مع هذه الثورة المعلوماتية، ويعد ميدان الإعلام والاتصال من بين المجالات التي تأثرت كثيرا بما جاءت به وسائط الاتصال والإعلام الحديثة، ومن بين العناصر التي تفاعلت مع المعلوماتية نجد مفاهيم ونظريات و مقاربات علوم الإعلام لاتصال التي أخذت تتأثر على مستوى الرسالة والوسيلة معا .ومنه نطرح التساؤلين :

- لماذا نعيد النظر في مفاهيم الإعلام والاتصال ؟ .

الأستاذ :محمد الفاتح حمدي .

- **وفيما نعيد النظر؟ وكيف نعيد النظر في هذه المفاهيم؟**

لقد عرفت وسائل الإعلام والاتصال تطورا ملحوظا خلال القرون الماضية، حيث كانت في أبسط أشكالها وهذا راجع للوسائل المعتمدة في عملية الاتصال التي كانت بسيطة وبدائية، ومع مرور القرون تطورت هذه العملية بتطور المجتمعات الإنسانية وتطور النمط الحياتي ووسائله، فلم تعد عملية الاتصال مجرد اتصال خال من التفاعل أو من دون هدف أو غاية من ورائه، وإنما تطورت وسائله وتعقدت رسائله مع مرور الأيام، حتى وصلنا إلى ما هو حادث ويحدث في وقتنا الحالى من تطورات مدهشة في مجال السمعي البصري من حيث الرسالة والوسيلة الاتصالية ودخولنا إلي مرحلة الثورة التكنولوجية الاتصالية والمعلوماتية.

المتتبع لتطور عملية الاتصال عبر التاريخ يلاحظ أنها مرت بعدة مراحل مختلفة ولكن ظهور مرحلة جديدة في سياق التطور لا يعني بالضرورة إلغاء المرحلة السابقة، فلقد جاءت مرحلة الرموز والإشارات مرتبطة بالمراحل الأولى للجنس البشري على سطح الأرض والتي تصور لنا صورة واقعية عن طريق الاتصال والتفاهم بين الأفراد خلال المراحل التاريخية التي ظهر فيها الإنسان على سطح الأرض، كما نجد أن طريقة الاتصال والتفاهم للجنس البشري قد سبقها ما يعرف بظهور الكائنات أوالمخلوقات السابقة على البشر، والتي كانت تعيش على الأرض قبل ظهور الإنسان ذاته، عرف الإنسان عنها بعد ذلك الكثير من الرموز والإشارات كما كان لاستخدام الأصوات والإشارات أثر كبير على تطور وسائل الاتصال كما أن الحروف كانت مجرد أصوات ولكل صوت معنى محدد ومتعارف عليه، ولاتزال الكثير من هذه الأصوات متواجدة حتى الآن، وبعدها عرف الإنسان ما يعرف بمرحلة الخطابة أو اللغة، حيث بدأ هذا العصر في مرحلة لاحقة من مرحلة الرموز والإشارات وكدليل لظهور تطورات فكرية لدى الجنس البشري،

وجاءت محاولات الإنسان الأولى لتطوير وسائل الاتصال الخاصة به وذلك عندما سعى لاستبدال لغة الرموز والإشارات بالكلمات والتي يسعى من البداية للتعبير عنها بالصوت، ولكن ما لبث الإنسان أن استخدم الصوت المسموع الذي تطور إلى لغة منطوقة ، وبعد ذلك تم تطوير هذه اللغة إلى لغة مكتوبة ومدونة، وبعد أن كانت اللغة تجسد في أشكال خطوط متعرجة أتت مرحلة متقدمة من تطور اللغة هي مرحلة الهجاء أو اللغة المكتوبة . "1"

فمند ظهور اللغة والخطابة والإنسان يبحث في طريقة تطوير عملية اتصاله بالعالم الخارجي وبالفعل فبعد مدة طويلة من ظهور اللغة اكتشف الإنسان الكتابة، التي كانت في البداية عبارة عن كتابات مصورة عن طريق الرسم على الجدران والمعابد والكهوف أو النقش على الحجر وتعد هذه أولى مراحل التدوين والكتابة عرفها الإنسان من الألاف من السنين، لتتطور بعدها الكتابة وعملية تدوينها بصور متعددة وتطورت حروف الهجاء التي تعد بمثابة أصوات ذات معني محدد وتكتب كحروف منفصلة وتفهم من خلال النطق بأصواتها، ولقد لعب العلماء المسلمون دورا بارزا في تطوير ونشر الأرقام والأعداد إلي العالم كله وذلك خلال العصر الإسلامي والعباسي في عهد الخليفة المنصور الذي اتخذ من بغداد عاصمة له، وإهتم عموما بفئة العلماء وخاصة علماء الفلك والحساب وقام بترجمة الأرقام وأصول الحساب التي كانت موجودة في الحضارات القديمة وتم التوصل إلى لغة الحساب والأرقام الحاليـة، ووضع اللغة والحروف الهجائية العربية .

إن إكتشاف اللغة والكتابة لم تكن نهاية الإكتشافات الإنسانية في مجال الاتصال، فمع حلول القرن الخامس عشر استطاع الإنسان أن يضيف إلى سجله أحد أهم الوسائل الاتصالية في تاريخه وهي الطباعة، التي تعد بمثابة أعظم وسيلة اتصال قد عرفها الإنسان لأنها أحدثت تطورات هائلة في الحياة الثقافية

والحضارية بصورة عامة، ولقد أحدثت الطباعة ثورة فكرية واتصالية كبيرة، وأفقدت أهمية الكثير من الفئات المثقفة والصفوة السياسية والدينية التي كانت تحتكر القراءة والكتابة في ذلك العصر.

كما ساعدت الطباعة على محو أمية الكثير من أبناء الطبقات المتوسطة والفقيرة وتدعيم الحرية الثقافية والعلمية والاتصالية للعديد من الشعوب، وتزيد من ثورة الإختراعات ويعود الفضل في هذا الإختراع إلي العالم ***يوحنا جتنبورج عام 1465م"2"***

فإذا كانت الطباعة قد أحدثت تقلبات وثورات في العالم أثناء إكتشافها كما أنها غيرت الكثير في العديد من المجالات، إلا أن هذا لم يكن نهاية تاريخ الإنسان في إكتشاف وتطوير طرق الاتصال التي تساعده في تغيير حياته وأنماط اتصاله وكذلك الوظائف التي جاءت بها الوسائل الحديثة، فمع بداية منتصف القرن التاسع عشر تنبأ ****ماكسويل *-1831-1879***.بوجود موجات تنتجها ذبذبات الشحنات الكهربائية وتنتقل في جميع الاتجاهات بسرعة ناقلة الطاقة، قد لا يكون الضوء سوى جزءا خاص من هذه الموجات المسماة موجات كهرومغناطيسية. فخلال هذه المرحلة ظهر التلغراف والتلفون والفونوغراف، ثم التصوير الفوتوغرافي، فالفيلم السينمائي ، ثم الإذاعة المرئية *التليفزيون*، والتليكس وصولا إلى الأقمار الصناعية والفاكس والفيديو والألياف الضوئية وغيرها من وسائط الاتصال الحديثة. "3"

فقد أحدثت هذه المرحلة ثورة في نظم الاتصال وحولت العالم إلى قرية عالمية إلكترونية، يعرف الفرد فيها بالصوت والصورة وبالكلمة المطبوعة، وكل ما يحدث وقت وقوعه، إلا أن هذا الإنفجار المعلوماتي جعل الإنسان العادي يعجز عن متابعة ما يحدث في العالم على مستوى الأحداث اليومية أو على مستوى التخصص العلمي أو المهني .

والشيء الذي لا يناقش هو أننا أصبحنا نعيش في عصر دواليبه تحركها المعلومات، وهذه بديهية غير قابلة لا للنقاش ولا للتشكيك، ويتميز هذا العصر بتأثير ثلاثية المعلوماتية والسمعي البصري وتكنولوجيا الاتصال والإعلام والتي تتدفق يوميا كل دقيقة بل كل لحظة كميات هائلة ومهولة من المعلومات من كل صوب وحدب عبر وسائط متعددة من ألياف ضوئية وأقمار صناعية وبث فضائي مباشر، وهواتف رقمية وشبكة الأنترنت . "4"وهذه الوسائل أعطت للعالم صفة الرقمية والعالمية لسهولة وصول الرسائل وتبادلها بين الأفراد دون عوائق أو تشويش أحسن مما كان حاصلا في الماضي، ومن الملاحظ أن حركة الاتصال الجماهيري كانت تنحو نحو مفهوم توحيد الجماهير بحيث رسالة واحدة لكل الجماهير، أما في ضوء الحداثة الاتصالية أخذت أشكال الاتصال الجماهيري تنحو نحو اللامركزية في العملية الاتصالية، بمعني تقديم رسائل متعددة تلائم الأفراد والجماعات الصغيرة المتخصصة، وتتخذ هذه اللامركزية للرسائل، نمطين في الاتصال الإنساني، نمط يتحكم فيه المرسل والأخر يتحكم فيه المستقبل، ويمكن إتاحة لكل منهما عن طريق الأقمار الصناعية والربط بالحاسبات الإلكترونية لتوفير خدمات مختلفة من الاتصال وتبادل المعلومات، تبدأ من الصحافة المطبوعة أو نقل النصوص المكتوبة وتمتد إلي شكل البرامج التليفزيونية ويمكن نقل هذه المعلومات عبر مسافات شاسعة وبسرعة فائقة عن طريق استخدام الاتصال الكابلي والأقمار الصناعية . "5"

إن المتتبع لتطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة يدرك أنها تتميز بجملة من الخصائص والسيمات تميزها عن خصائص بقية وسائل الاتصال والإعلام التي كانت سائدة في المجتمعات التقليدية .من جملة هذه الخصائص نذكر:

- ***التفاعلية*** :التي تعد من بين أهم سيمات تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة، بحيث يؤثر المشاركون في العملية الاتصالية على أدوار الأخرين وأفكارهم ويتبادلون

معهم المعلومات (البريد الإلكتروني، الاتصال الهاتفي، القوائم البريدية، youtube;face book)، ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ مشاركين بدلا من مصادر وقد ساهمت هذه الخاصية في ظهور نوع جديد من منتديات الاتصال و الحوار الثقافي المتكامل والمتفاعل عن بعد، مما يجعل المتلقي متفاعلا مع وسائل الاتصال تفاعلا إيجابيا .

- ***اللاجماهيرية :*** ما يؤخذ على وسائل الاتصال الحديثة تحولها من توزيع رسائل جماهيرية إلي الميل إلي تحديد هذه الرسائل وتصنيفها لتلائم جماعات نوعية أكثر تخصصا وتشير الدلائل إلي أن رؤية ****ماكلوهان**** الخاصة بوحدة العالم والحياة في قرية عالمية التي حققتها وسائل الاتصال الجماهيري خلال عقد الستنيات قد أصبحت في حاجة إلي إعادة النظر في عقد التسعينيات والقرن الحادي والعشرين، حيث تتجه وسائل الاتصال والمعلومات الحديثة إلى جعل خبرات مشتركة، وبذلك نشهد سقوط العقل الجماعي حيث تنشر وسائل الإعلام والاتصال الجديدة التي توصف بأنها غير جماهيرية، بل أنها ذات اتجاهات فردية أو مجموعاتية والإتجاه نحو تفتيت الجماهير إلي فئات متعددة تختلف من حيث الأذواق والإهتمامات "6".

- ***اللاتزامنية :*** وتعني إمكانية إرسال الرسائل واستقبالها في وقت مناسب للفرد المستخدم ولا تتطلب من كل مشارك أن يستخدم النظام في الوقت نفسه، وذلك من خلال تسخير تقنيات حديثة في الاتصال مثل الفيديو الرقمي لتسجيل البرامج وتخزينها ثم مشاهدتها في الأوقات المناسبة أو إرسال الرسائل عبر شبكة الإنترنت باستخدام (البريد الإلكتروني،youtube; face book).

-**القابلية الحركية** :تعنى هناك وسائل اتصالية كثيرة يمكن لمستخدمها الإستفادة منها في الاتصال من أي مكان ثم نقلها إلى أخر حركته مثل الهاتف المحمول

والكمبيوتر المحمول كما تعني نقل المعلومات من مكان إلي أخر بكل يسر وسهولة . "7"

- **قابلية التحويل :** وهي قدرة وسائل الاتصال على نقل المعلومات من وسيط إلي أخر كتقنيات التي يمكنها تحويل الرسالة المسموعة إلي رسالة مطبوعة والعكس، كما هو الحال في أنظمة التيلتكس التي تقدم خدمات ورسائل مطبوعة على شاشات التليفزيون تلبية لرغبات زبائنها التي أضحت تتميز بالتعدد ويبرز هذا أيضا في أنظمة الدبلجة والترجمة للمواد المرئية كما هو الحال في بعض المحطات التليفزيونية الأجنبية .

- ***قابلية التوصيل والتركيب*** : لم تعد شركات صناعة أدوات الاتصال تعمل بمعزل عن بعضها البعض فقد إندمجت أنظمة واتخذت الأشكال والوحدات التي تصنعها الشركات المختصة في صناعة بعض أدوات الاتصال .

- ***التوجه نحو التصغير:*** تتجه الوسائل الجماهيرية في ظل هذه الثورة إلى وسائل صغيرة يمكن نقلها من مكان إلي أخر بالشكل الذي يتلاءم وظروف مستهلك هذا العصر.

- ***الشيوع والإنتشار*** : ويعني به تغلغل وسائط الاتصال حول العالم، وداخل كل طبقة إجتماعية، فتكنولوجيا الاتصال تتجه من الضخم إلي الصغير، ومن المعقد إلي البسيط ومن الأحادي إلي المتعدد . "8"

- **التدويل والكونية :** *التطور* المتسارع في هذه التكنولوجيا في إتجاه إختصار عامل المسافة والزمن، هذا التطور بلغ من الأهمية في الحقب الأخيرة إلي حد أن أطلق البعض على الكرة الأرضية التي نعيش عليها وصف القرية الكونية العالمية، لأنه بوجود وسائل الإعلام والاتصال لم يعد التفاعل على الأرض واحدة هو الباعث الأول للتجمع بل أصبح التفاعل يتم عبر تكنولوجيا الاتصال ووسائط المعلومات والإعلام متخطيا الحدود الجغرافية عابرا فوق الحدود الوطنية .

- **التعقيد وكثافة الاستخدام** : تكنولوجيا الاتصال وبالذات المتقدمة منها تتسم بكثافة استخدام رأس المال والتعقيد الشديد وإرتفاع التكلفة وهي لكل ذلك تأخذ صيغة إحتكارية ، حيث تتركز عادة في أيدي بناء القوة والنفوذ السائد في المجتمع. "9"

ويرى توفلر بأنه كانت الأثار التجانسية لوسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية في ذروة قوتها عندما كانت الخيارات محدودة، أمام المستمع والمشاهد، بقنوات قليلة ورسائل إعلامية قليلة، أما الواقع الإعلامي الإلكتروني الممتد، فإن هناك خيارات متعددة ومتنوعة والمحتوى الواحد، له أشكال متنوعة، في عرضه، في أكثر من محطة إعلامية مسموعة أو مرئية في قوالب مختلفة متنوعة .

إن التحول من فرص الإختيار الأقل إلي فرص الأكثر تعددا في مجال الإعلام لا يحمل مدلولات ثقافية فحسب بل سياسية أيضا، وتواجه حكومات الدول ذات التقنية المتقدمة مستقبلا ستعرض فيه شعوبها إلى وابل متصل من الرسائل المتعددة المتعارضة المخصوصة، الثقافية منها والسياسية والتجارية، بدلا من رسالة واحدة ترددها قلة من الشبكات الإعلامية العملاقة في صوت واحد .

ويمكن القول أن التطورات التقنية الكبيرة في مجال الاتصال الجماهيري، وتعدد قنوات الاتصال والمعلومات أدى إلي ما يمكن تسميته ب*عصر الشاشة * فالوسائل المطبوعة والمقروءة والمسموعة والمرئية أصبحت مندمجة في شاشة التليفزيون أو الحاسوب *الكمبيوتر* الشخصي، حيث يستطيع المتلقي قراءة كتاب أو صحيفة أو مجلة ومشاهدة مسرحية أو فلم أو خطاب سياسي على هذه الشاشة، وفي أغلب الأحيان بصورة فردية، كما أنه يستطيع إلى حد بعيد الإختيار من بين بدائل عديدة في الوقت نفسه، وتفترض الإتجاهات الحالية والمستقبلية لتطور وسائل الاتصال نمو أحد تصورات ثلاثة لوضع الاتصال خلال القرن الحادي والعشرين وتشمل هذه التصورات تكريس اللامركزية في الإرسال

والإستقبال وأيضا الهيمنة والإندماج لوسائل الاتصال وأيضا التوافق بين التقنية القديمة والحديثة . "10"

فهذا التطور المدهش في عالم الاتصال والإعلام جعل من الرسائل الإعلامية والاتصالية تتجاوز الحدود المكانية وأيضا الوصول إلي أكبر عدد من الجماهير دون حدوث عوائق أو تشويش مثلما كان يحدث في السنوات الماضية عندما كنا نعتمد على وسائل اتصالية بسيطة في عملية الإرسال، ولكن بمجرد اكتشاف الألياف البصرية والأقمار الصناعية والتليفزيون الرقمي والتفاعلي والراديو الرقمي والفيديو الرقمي والحاسوب المحمول وشبكة الأنترنت وأيضا الهواتف المحمولة سهل للإنسان عملية الاتصال وتكسير كل الحواجز والعوائق التي كانت تقف في وجه رسالته الاتصالية .

إن ما طرحته تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة من وسائل وتقنيات كان له أثر واضح في مفاهيم الإعلام والاتصال التقليدية التي كانت تعرف على أنها عملية إجتماعية تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس كما يعرف أيضا على أنه ظاهرة عامة ومنتشرة تقوم بدور لاغني عنه في تحقيق التفاعل الفكري والحضاري داخل المجتمع الواحد أي أن الخبر أو المعلومة سواء كانت واقعية أو خيالية تتحقق خلال عملية مشاركة بين المرسل والمستقبل من خلال عملية التغذية العكسية أي ما يصل إلي المؤسسة من أراء وإتجاهات نحو سياستها وخدماتها والعاملين فيها، فهي ليست مجرد عملية إرسال وإستقبال لمعلومات أو أفكار أو مشاعر بل أنها تفاعل بين جميع العناصر وبالذات المرسل والمستقبل . "11".كما عرفه ***لندبرج*** بأنه –الاتصال- عملية استخدام للإشارة والتفاعل بواسطة العلاقات والرموز وقد يكون الرمز حركات أو صور أو لغة أو أي شئ أخر يعمل كمنبه للسلوك ، وعموما أن الاتصال نوع من التفاعل الذي يحدث بواسطة الرموز والعلاقات . "12"أما مفهوم الإعلام فقد عرف على أنه تلك العملية التى تبدأ

بمعرفة المخبر الصحفي بمعلومات ذات أهمية، أي معلومات جديرة بالنشر والنقل، ثم تتوالى مراحلها، تجميع المعلومات من مصادرها، ثم نقلها، والتعاطي معها وتحريرها، ثم نشرها وإطلاقها أو إرسالها عبر صحيفة، أو وكالة أو إذاعة أو محطة تليفزيون إلي طرف معنى بها ومهتم بوثائقها . "13"ولكن مع تطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام تغيرت العديد من المفاهيم في محتوياتها وأيضا في وسائط تحميل المعلومات وطريقة إنتاجها، في ظل القرية العالمية ***المكالوهانية***، وهذا راجع إلى إمتزاج وتداخل بين تكنولوجيا المعلومات وأيضا الوسائط الاتصالية ووسائل الإعلام الحديثة مما نتج عنه مفهوم جديد في ميدان الإعلام والاتصال ألا وهو *الاتصال الجماهيري *ويعد عبارة عن عملية الاتصال التي تتم باستخدام وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية الحديثة، ويتميز الاتصال الجماهيري في قدرته على توصيل الرسائل إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات ولأفراد غير معروفين للقائم بالاتصال، تصلهم الرسالة في اللحظة نفسها وبسرعة فائقة مع مقدرة على خلق رأي عام وعلى تنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجود أصلا والمقدرة على نقل الأفكار والمعارف والترفيه . "14" وتشمل وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية تلك الوسائل التي لها مقدرة فائقة على نقل الرسائل الجماهيرية من مرسل إلي أعداد كبيرة جدا من الناس عبر القرية الكونية وتتمثل مقدرتها الاتصالية في استخدام معدات ميكانيكية أو إلكترونية مثل الصحافة الإلكترونية والأنترنت والألياف الضوئية والأقمار الصناعية والفيديو الرقمي، والتليفزيون والراديو الرقمي ، والهواتف الرقمية والحواسيب الألية المحمولة وغيرها من الوسائل الاتصالية والإعلامية الحديثة التي نشأت وتطورت في ظل ظروف تاريخية وإجتماعية ودولية "15"

ومن مميزات عصر الإمتداد الإلكتروني أنه تحول إلي اللامركزية، حيث أتاحت تقنيات الاتصال الحديثة، سبل التواصل بين أفراد العالم، في ظل قرية إلكترونية

واحدة .- تغيرت في ظلها محتوى وشكل الرسائل الإعلامية والاتصالية من النمط التقليدي إلي النمط الحديث في صياغة الرسائل الإعلامية وإختيار الوسيلة المناسبة والأسرع لنقل هذه الرسالة إلى جماهير محددة – حيث نجد أن الوسائل الاتصالية التقليدية كانت تنحو في محتوياتها وأشكالها نحو مفهوم توحيد الجماهير، بحيث تصل الرسالة الإعلامية إلي قطاعات جماهيرية واسعة، أما في ضوء الحداثة الاتصالية أخذت أشكال الاتصال الجماهيري تنحو نحو اللامركزية في العملية الاتصالية، بمعني تقديم رسائل متعددة تلاءم الأفراد أو الجماعات الصغيرة المتخصصة كما ذكرنا سابقا. "16"

وتفترض الاتجاهات الحالية والمستقبلية لتطور وسائل الاتصال نمو أحد التصورات ثلاثة لوضع الاتصال خلال القرن الحادي والعشرين فيما يخص شكل ومحتوى هذه الوسائل ، ويتجسد هذا من خلال تكريس اللامركزية في الإرسال والإستقبال وينبني هذا التصور على ظهور خدمات الاتصال الجديدة، التي توجه رسائل متخصصة تلبي الميول والنزعات الفريدة مثل التليفزيون التفاعلي والرقمي والفيديو كاسيت ومؤخرا الفيديو الرقمي، وهناك إقبال كبير ومتزايد من جانب الأفراد على إمتلاك هذه الوسائل، والإستعانة بها في عملية الاتصال وتجنب عملية الاتصال المباشر مع أفراد هذه الوسائل، والإستعانة بها في عملية الاتصال وتجنب عملية الاتصال المباشر مع أفراد أخرين وتتمثل مظاهر التفتت في فئات المستقبلين في ميل الأفراد إلي الإنعزال كما أن وسائل الاتصال الحديثة تمنح الأفراد والجماهير القدرة على خلق بيئة الاتصال التي تناسبهم، وأدى ظهور هذه الوسائل الجديدة إلي تناقض المعرفة التي يحصل عليها عن طريق التعرض العشوائي لمواد الاتصال وتناقص الاتصال الجدلي بين الجماعات والطبقات ليحل محله اتصال متزايد داخل كل جماعة أو فئة، والنقطة الثانية هي تكريس الهيمنة

والإندماج لوسائل الاتصال ويقوم هذا التصور على إتجاه وسائل الاتصال الجماهيري إلي التركيز في كيانات ضخمة وملكية مشتركة ومتعددة الجنسية ."17"

الملاحظ أنه تم التركيز كثيرا في شكل الرسائل الاتصالية وطريقة توصيلها إلي الجماهير المتعددة والمتخصصة عبر القرية الكونية بأسرع طريقة ممكنة وفي أحسن القوالب والأجناس الصحفية والأساليب البلاغية من أجل الوصول إلي هدف معين تسعي الجماهير إلي تحقيقه من وراء ذلك ولكن في ظل هذا التطور السريع والمتزايد لتكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة يتطلب منا أن نعيد النظر في منظومتنا القيمية في ظل كثرة الرسائل الإعلامية الوافدة إلينا وما توافق تلك الرسائل مع سلمنا القيمي داخل البيئة العربية والإسلامية، وفي ظل هذا الزخم الكبير لوسائط الاتصال والإعلام الحديثة والتركيز على مقولة الغاية تبرر الوسيلة، ومقولة الرسالة هي الوسيلة، وجدنا أنفسنا نسبح في تيار لا يخدم البيئة التي يعيش فيها الفرد العربي المسلم، لكثرة وتداخل الغايات المادية التي تسعي الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى لتحقيقها والترويج لها على حساب غايات وعادات وتقاليد نابعة من أعماق المجتمعات العربية والإسلامية التي إستمدتها من الشريعة الإسلامية.

انطلاقا من خصائص تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة في ظل القرية الكونية أصبح لزاما علينا أن نعيد النظر في مفاهيم الإعلام والاتصال أيضا من ناحية الوظائف التي تقدمها هذه الوسائل الحديثة، حيث تجاوزت هذه الوسائط تلك الوظائف التقليدية، التي تجسدت في نقل تراث الأجيال والتعليم والتوجيه والإكتشاف والإخبار والتنمية والتنشئة السياسية والإنتخابات وتوعية الجماهير وغيرها من الوظائف التي جاءت بها وسائل الاتصال والإعلام والتي تعد حاليا في ظل القرية الكونية أن وسائل الإعلام والاتصال تجاوزت هذا الدور الكلاسيكي إلي أدوار أكثر تطورا وتقدما يناسب هذه المرحلة التي وسمت بأنها تمثل الثورة التكنولوجية والمعلوماتية .

حيث أصبح دور وسائل الإعلام والاتصال قوة لها أبعادها الإجتماعية بمقدار مالها من قوة سياسية وإقتصادية وثقافية، فوسائل الإعلام في وقتنا الحاضر أصبح لها دور مهم وخطير في الوقت نفسه، إلي درجة خصصت جميع الحكومات أقساما ودوائر ووزارات إعلام تتولى تحقيق أهداف داخلية وخارجية عن طريق تلك الوسائل، لأنه بإمكان هذه الوسائل هدم قيم وخلق قيم جديدة داخل المجتمع، مثلا الترويج للقيم الإستهلاكية *المادية* الغربية عن طريق البث الفضائي المباشر وشبكة الأنترنت، أيضا فرض النموذج الثقافي الأوروأمريكي وترسيخ قيم الإمتثالية والقضاء على التنوع الثقافي من خلال وسائل الاتصال والإعلام الحديثة، وتكمن خطورة هذه الوسائل في كونها تنطلق من معادلة الأتية : التي توضح كيفية نجاح الإستعمار *والت ديزني * ***و*الماكدونالدز*** **في غزو الثقافة العالمية والتي وضحها BENJAMR BORBER في أن سبب نجاح الإستعمار *والت ديزني * للثقافة العالمية يكمن في ظاهرة قديمة قدم الحضارة ، إنها المنافسة بين الشاق والسهل والبطيء والسريع وبين المعقد والبسيط ، فكل أول من هذه الأزواج يرتبط بنتاج ثقافي يدعو للإعجاب والإكبار ،أما كل ثاني من هذه الأزواج يتلاءم مع لهونا وتعبنا وخمولنا ، إن ديزني وماكدونالدز وmtv تروج لما هو سهل وسريع وبسيط. "18"**

ما تحدث عنه البروفيسور الجزائري " عزي عبد الرحمان " في نظريته الحتمية القيمية يميط الغموض عن النظرة المحدودة لنظرية ماكلوهان التي أصبحت في ظل التطور السريع لتكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة ووسائطها المتعددة محدودة التأثير وذلك من خلال تركيزها على الجانب المادي للبيئة الاتصالية وإهمالها للقاعدة الأساسية للبيئة الاتصالية والمتمثل في البعد القيمي والحضاري للعملية الاتصالية في ظل موجة المعلوماتية و اندماج وسائط الاتصال مع الحاسبات الإلكترونية ونتج عنه ما يسمي بالثورة المعلوماتية المتعددة المرتكزات،

وعلى رأسها الإنفجار المعلوماتي الحاصل في العالم وما ينفق على هذا القطاع، وأيضا توسع خدمات الشبكة العالمية وتغير وتبدل العديد من المعايير الثقافية والاجتماعية السائدة داخل المجتمعات، فكل هذا يثبت مدى أهمية النظر في المعيار القيمي الذي تبني عليه المجتمعات العربية والإسلامية .

ومن خلال نموذج عزي عبد الرحمان للعملية الاتصالية نلاحظ بأن النظام الإجتماعي والبعد الحضاري والقيمي هي السيمات التي تميز نموذجه عن بقية نماذج الاتصال الأخرى فقد أعطى أهمية كبيرة -في العملية الاتصالية التي تتم بين مرسل ومستقبل وفي ظروف معينة- لعنصر القيم كأساس لبناء ونجاح العملية الاتصالية ، ويرى بأن الإعلام إنما هو رسالة وأن أهم ما يمكن أن تقاس به الرسالة هو القيم التي تمثلها تلك الرسالة ، وأن القيم في أساسها ترتبط إرتباطا وثيقا بالمعتقدات، ويرى عزي عبد الرحمان أيضا أن القيم تمثل أهم ركائز الثقافة السائدة داخل المجتمعات، ويختلف مفهومه للثقافة عن المفاهيم الغربية التي قدمت لها ،حيث يرى أن أغلبية المفاهيم التي قدمت للثقافة هي مفصومة عن أية بيئة قيمية، وإنما ترتبط بالجوانب المادية من تقنيات وممارسات وسلوك ظاهري ،كالفنون والرقص وغيره، ويأخذ هذا المفهوم الغربي للثقافة أيضا اتجاهه لتجسيد الثقافة كظاهرة اجتماعية يولدها الإنسان من خلال الممارسة الإجتماعية ، لتصبح بذلك صناعة إنسانية مستندة على خصائص إنسانية مستندة على خصائص السلوك الإنساني في كل مجتمع .

أما رؤية عزي عبد الرحمان فتختلف كلية عن هذه النظرة المادية للثقافة والتي تجسدت في أمور مادية بحتة ، ويعرف عزي الثقافة بقوله : **الثقافة سلم يمثل مستواه الأعلى القيم** ....ويكون مصدر القيم في الأساس الدين، فالإنسان لا يكون مصدر للقيم، إنما أداة يمكن أن تتجسد فيها القيم، يستتبع ذلك أنه كلما ارتقت الثقافة إلى مستوى القيم ارتبطت بالدين بالضرورة .-19-إن أول ما

نستخلصه من هذا التعريف هو أن القيم تكون دائما إيجابية إذا أرتبطت بالمصدر المذكور (الدين) ،ووفق هذا التعريف يمكن أن نتحدث عن تأثير وسائل الاتصال من زاوية مدى الارتباط من عدمه بالقيم، ويمكن أن يشار إليه بالسلبي في الحياة الإجتماعية لا يعدو أن يكون عادات وسلوكيات بعيدة عن القيم ،أي من صنع الفاعل بعيدا عن ذلك الارتباط ،من جهة ثانية ،فإن بالرغم من أن القيم من هذا المنظور ،قد تكون سائدة في التراث الثقافي والإجتماعي إلا أن هذا لا يعني أن كل الأفراد يكونون مرتبطين بها ،وإنما الارتباط بها مشروط بالسياق الزمني والمكاني وعوامل أخرى سياسية واجتماعية واقتصادية ،وعليه فإن الارتباط بالقيم يختلف من فرد إلى أخر ومن جماعة إلى أخرى.

ثم يبرز عبد الرحمان عزي في تحليله للثقافة المبنية على ركيزة المنظومة القيمية ،ارتباطها بالنشاط العقلي ،الذي يشكل الفكر والمعرفة والأداب والفنون والسلوكات المختلفة ،والتي يمكن اعتبارها أساليب ووسائل للارتقاء بالثقافة إلى مرتبة الحضارة، فالعقل لا يعمل بمعزل عن القيم التي تقوم في أساسها على الدين، لأن النشاط الذهني يصبح البوتقة التي تولد المعرفة والفكر والحضارة استنادا إلى تلك القيم.ومن بعد ذلك تكتمل حركة الارتباط بين هذه العناصر من القيم المستمدة من الدين، إلى النشاط العقلي ،وبذلك يكون السلوك هو قاعدة الهرم في هذه العلاقة الثلاثية التي تتشكل منها الثقافة وهي :القيم والعقل والفعل،-20- ويختتم عزي عبد الرحمان نموذجه بتقديم تعريفه للثقافة على النموذج المعروض فالثقافة عنده هي :

عبارة عن معايشة الواقع انطلاقا من القيم، ويكون النشاط العقلي للإنسان وسيلة في تحقيق الترابط بين القيمة والسلوك، كما عرفها أيضا على أنها كل ما يحمله المجتمع (الماضي) وما ينتجه (الحاضر والمستقبل) من قيم ورموز معنوية أو مادية، وذلك في تفاعله مع الزمان (التاريخ) والمكان (المحيط) انطلاقا

من بعض الأسس (القيم) التي تشكل ثوابت الأمة وأصولها (البعد الحضاري). -21-

وهكذا غدت وسائل الإعلام سلاح ذو حدين ، فهي قوة إيجابية داخل المجتمع تعمل على تماسكه وتدعيم بنائه، كما تعبر عن قضاياه وتكشف ألوان الفساد والمحاباة والإنحراف والجريمة والعنف وتساهم في دفع عجلة التطور والتحسن داخل المجتمع، كما أن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة ساهمت في إلغاء الحواجز بين البلدان وتجاوزت السيادات الوطنية وجعلت المعلومة تنتقل بلا قيد عبر جميع أنحاء القرية الكونية وفي ذلك نعمة ونقمة في الوقت نفسه على المستقبل للرسالة الإعلامية . "22"

كما تجاوزت وسائل الإعلام والاتصال تلك الوظيفة البسيطة في تغطية الأحداث، فاليوم بإمكان القنوات الفضائية وشبكة الأنترنت والأقمار الصناعية والألياف الضوئية نقل الألاف من الأحداث على المباشر ومن أي مكان على سطح الكرة الأرضية بدون تشويش أو عوائق ، حيث أصبحت الصورة تصل دقيقة وواضحة إلي جميع الجماهير بفضل التكنولوجيا المتطورة المستخدمة في عملية الإخراج والتصوير.

كما تعمل وسائل الإعلام والاتصال على تشكيل رأي عام موحد، من خلال تشجيعها للحوار والنقد ونشر الرأي والرأي الأخر والإستعانة بأصحاب الفكر والرأي لإثراء الحياة الفكرية بالنقاش الواسع المثمر، وبخاصة إذا كانت القضايا موضع البحث، ذات صلة وثيقة بالمسائل المحورية في حياة المجتمع .

كما تعمل وسائل الإعلام والاتصال على تثقيف الأفراد وليس بالطرق الأكاديمية التعليمية ، وإنما التثقيف العام يحدث في الإطار الإجتماعي للفرد سواء كان ذلك بشكل عفوي أو عارض أم بشكل مخطط ومبرمج ومقصود، أيضا الهروب من التوتر والإغتراب تعد من الوظائف غير المنظورة لوسائل الإعلام، والتي يصعب

تمييزها عن وظيفة التنفيس أو الإسترخاء، وظيفة الهروب يعتقد الكثير من الناس أن المجتمع المتمدين الذي يسوده التنافس والتكنولوجيا، يخلق توترات كثيرة وللتخلص من هذا الشعور تقدم وسائل الإعلام والاتصال أساليب الهروب، فهي تقدم وظيفة تشبه مفعول الخمور والمخدرات لبعض الناس، فهي ببساطة تجعلنا نتناسى همومنا طوال مدة التعرض ."23"

التحرر العاطفي يعد من الوظائف التي أصبحت وسائل الإعلام تسعى لتحقيقها من خلال تحقيق الإسترخاء والتنفيس والمتعة والإستثارة والتخلص من الملل والعزلة وعلى الرغم من عدم وجود دليل علمي يثبت تحقيق وسائل الإعلام لكل تلك الإشباعات إلا أن العنصر الوحيد الذي يجمعها جميعا هو الخبرة العاطفية وإطلاق العنان للإنفعلات فما نبحث عنه في كل هذه الحالات هو التغيير والسعادة وفي كثير من الحالات ترتبط متعة المحتوى بمتعة الوسيلة نفسها24".

كما نجد أن تطور وسائل الإعلام والاتصال ألغي الفروق الفردية بين الأفراد وهذا ما أعطى فرصة كبيرة لأصحاب الإعاقات الجسدية بأداء أدوارهم في المجتمع بدون عقدة وقد يتفوق على الفرد السليم في العديد من الحالات . كما أتاحت وسائل الإعلام والاتصال قدرات كبيرة في عملية الاتصال وتكوين علاقات مختلفة عبر العالم، وفتح باب التعليم عن بعد والتسوق عن بعد وتلقي المحاضرات والدروس والمشاركة في المنتديات على المباشر كل هذه الوظائف وفرتها تكنولوجيا الاتصال الحديثة بالإضافة إلي القدرة التخزينية للمعلومات وعملية إسترجاعها في أي وقت تريدها، ويمكن أن نضيف إلي ذلك الجانب التجاري المتمثل في الإعلان والإشهار عبر هذه الوسائل التي أصبحت تعتمد عليه بحجم كبير جدا كمورد أساسي في عملية تسيير مؤسساتها الإعلامية . من بين الوظائف التي إنتشرت كثيرا في السنوات الأخيرة عملية الدعوة عبر القنوات الفضائية وأيضا عبر المواقع الإلكترونية وهذا ما أعطى للعمل الدعوى نوع من التحرر من القيود المفروضة

على الخطاب المسجدي من قبل السلطات .وهناك العديد من الوظائف تتزايد يوميا بمجرد ظهور وسائل جديدة إلا وظهرت معها وهذا لخدمة الفرد في حياته اليومية .

وأخيرا نلاحظ أن التطور الهائل الذي يشهده العالم حاليا في ميدان الإعلام والاتصال وغيرها من الميادين أعطى للعالم أبعادا محدودة وقلص من عملية التنقل ، فبإمكان وقوع حدث في مكان ما من هذه القرية الكونية يصل إلي جميع أفراد هذه القرية في وقت واحد وهذا بفضل التطور الذي وصلته وسائل الإعلام والاتصال في هذا المجال الذي مازال السباق فيه محتدم ومن يتخلف عن هذا الركب يعد في نظر **المفكر الفرنسي "فرانك كيلش"متخلفا من المنظور التكنولوجي حيث يقول"بإمكاننا أن نواجه الفجر منتظرين شروق الشمس حتى ننال نصيبنا من دفء أشعتها وقد ننام النهار بطوله"**والحالة الأخيرة تناسب ما يحدث لدول العالم الثالث التي مازالت تحصد النتائج السلبية بسبب الوقوف السلبي من تكنولوجيا الاتصال والإعلام الحديثة التي لا تعبأ بإنتقادتنا وتفنيدنا لسلبياتها وإنما هي في تطور مستمر وسريع جدا في كل يوم يظهر الجديد على مستوى الرسالة والتقنية وما علينا إلا أن مواكبة هذا التطور، فهذه الوسائل هي في الأصل وجدت من أجل خدمة الإنسان فهي خادمته أما في العالم الثالث أصبحت هي السيدة وهي التي تتحكم فيينا من خلال ما تنشره من قيم جديدة خربت مورثنا الثقافي والحضاري وإذا أردت البراهين أقول لك أنظر ما يحدث في حياتنا من مظاهر تثبت مدى خطورة وسائط الاتصال والإعلام على حياتنا *حالة اللغة العربية أين وصلت....؟ ، المأكل والمشرب والملبس....كيف أصبح ؟، الزواج والعلاقات بين الجنسين...ماذا يحصل؟ ، الحوار الأسري ودور الأسرة .....أين هو؟ الجرائم والعنف ....إلي أين ؟ وأشياء كثيرة لا يسعنا الوقت للحديث عنا في هذا المقام .ولكن المهم والأهم هنا أننا أمام واقع يطرح علينا الجديد كل يوم وكل

"إعادة النظر في مفاهيم الإعلام والاتصال في ظل القرية المعلوماتية"

دقيقة في مجال الإعلام الاتصال خصوصا وهذا ما يضعنا أمام واقع يفرض علينا النظر في مفاهيمنا في كل مرة من أجل أن نواكب ما يحدث في ظل هذه القرية الكونية أو بالأحرى في ظل البناية الواحدة على حد تعبير *العالم الإيطالي تشارلز كولي.من حيث المفاهيم والمقاربات والمناهج والنظريات والأدوات العلمية حتى لا نبقي متخلفين حتى من المنظور المفاهيمي ونواكب التطورات الحاصلة على مستوى الوسيلة والرسالة .

مراجع المقال :

1- عبد الله عبد الرحمان :**سوسيولوجيا الاتصال والإعلام**،(الأسكندرية :دار المعرفة الجامعية، 2002)،ص.ص.18.15.

2- المرجع السابق: ص.ص.26.23.

3- موسوعة لاروس : **الاتصالات مند البداية حتى الأنترنت** : ترجمة : أنطوان الهاشم ، (بيروت : عويدات للنشر والطباعة ،ط1، 2002)، ص.46.

4- منصف العياري :**الطفل وحضارة الصورة التليفزيونية** ، مجلة المعيار ، جامعة قسنطينة : الأمير عبد القادر ،عدد ،07 ،ديسمبر، 2003،ص .77.

5-سعاد جبر سعيد : **سيكولوجية الاتصال** ،(القاهرة : جدارا للكتاب العالمي ،2008)، ص.46.

6- شطاح محمد ،وأخرون : **القنوات الفضائية وتأثيرها على القيم الإجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري** ،عين مليلة : دار الهدي ،دس ،ص.100.

7- مؤيد عبد الجبار الحديثي : **العولمة الإعلامية** ، (عمان : الأهلية للنشر والتوزيع ، ط1،2002)،ص.54.

8- محمد شطاح : مرجع سابق ،ص.ص.101.100.

9- عبد الفتاح عبد النبى : **تكنولوجيا الاتصال والثقافة** ،(القاهرة : العربي للنشر والتوزيع ،1990)، ص.81.

10- سعاد جبر سعيد : سيكولوجية الاتصال الجماهيري، مرجع سابق، ص.ص.49.48.

11- سلوى عثمان الصديقى ،هناء حافظ بدرى : **أبعاد العملية الاتصالية** ،(القاهرة : المكتب الجامعي الحديث ، 1999)، ص.14.

12- عبد الله عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص.54.

13- حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد : **الاتصال ونظرياته المعاصرة** ،(القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ، 1998)،ص.32.

14- المرجع نفسه : ص.33.بتصرف

15- المرجع السابق : المكان نفسه .34 بتصرف

16- سعاد جبر سعيد : مرجع سابق ،ص.ص.47.46.

17- المرجع نفسه ، ص.ص.47.45.

18- محمد شطاح : مرجع سابق ،ص.91.بتصرف.

19- عبد الرحمان عزي : دراسات في نظرية الاتصال ،نحو فكر إعلامي متميز ،بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ،ص ،ص،112.107.

20- بوعلي نصير (وأخرون) :قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، قسنطينة، الجزائر:منشورات مكتبة إقرأ،2009،ص.30.

21- عزي عبد الرحمن: مرجع سابق،ص.ص (105-106). بتصرف.

22- محمد عوالمية : التكنولوجيا المعاصرة للإعلام والاتصال والإدماج الإجتماعي للمكفوفين ، مذكرة ماجستير غير منشورة ، قسنطينة : جامعة الأمير عبد القادر ، 2005، ص.23.بتصرف .

23- سعاد جبر سعيد : مرجع سابق ،ص.69.بتصرف .

24- حسن عماد مكاوى ، ليلي حسين السيد ، مرجع سابق ،ص.15.بتصرف.